الفصل التاسع
فى الشهداء والأنبياء

أولاً: من هم الشهداء؟

الشهداء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شهيد الدنيا والآخرة:

ومن قتل فى قتال الكفار بسببه، وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا.

النوع الثانى: شهيد الدنيا فقط:

وهو من قتل فى قتال الكفار بسببه، وقد غل فى الغنيمة أو قـُتل مُدْبِرًا أو قاتل رياء أو نحو ذلك.

النوع الثالث: شهيد الآخرة فقط:

وهم أصناف كثيرة منها:

١ – المبطون.

٢ – المطعون.

٣ – الغريق.

٤ – صاحب الهدم.

٥ – صاحب ذات الجَنَب.

٦ – الحريق.

٧ – المرأة التى تموت وفى بطنها ولدها.

٨ – النفساء إذا ماتت فى النفاس.

٩ – القتيل فى السيل.

١٠ – الميت فى الغربة.

١١ – الميت فى السفر.

obeikandl.com

١٢ – الميت بالحمى.
١٣ – المصروع عن دابته فى سبيل الله.
١٤ – الميت فى المرابطة.
١٥ – المتردى فى رءوس الجبال.
١٦ – الذى أكله السبع.
١٧ – الذى قتل دون ماله أو أهله أو دينه أو دمه أو مظلمته.
١٨ – من أمر سلطانًا جائرًا بمعروف أو نهاه عن منكر، فقتله.
١٩ – من وقصته فرسه أو بعيره.
٢٠ – الملدوغ.
٢١ – الميت على فراشه على أى حتف شاء الله.
٢٢ – من قتلته الحية، وإن قتلها كانت فداءه من النار.
٢٣ – المسافر فى البحر.
٢٤ – الذى يموت على فراشه فى سبيل الله.
٢٥ – الخار عن دابته.
٢٦ – من حبسه السلطان ظلمًا فمات فى الحبس.
٢٧ – من مات فى الضرب.
٢٨ – من صبرت من النساء على الغيرة.
٢٩ – الذى يموت فى طلب العلم.

وأضاف بعض العلماء:

- التاجر الصدوق الأمين.
- من جلب طعامًا إلى مصر من الأمصار للمسلمين.
- من سعى على امرأته وولده وما ملكت يمينه، ويقيم فيهم أمر الله ويطعمهم من حلاله.
- المؤذن المحتسب كالشهداء وهم معهم.
- من اغتسل فى الثلج فأصابه البرد فهو شهيد.
- من قرأ سورة الحشر حين أخذ مضطجعه فمات.
- من ماتت بكرًا ولم يمسها الرجال.

obeikandi.com

- من حلقه الحلاق بمنىً، وفى رأسه تولول فقطعه فمات.
- من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر.

روى الترمذى عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث مرات آيات من آخر الحشر، وكَّلَ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى يومه مات شهيدًا، ومن قرأها حين يمسى ومات من ليلته مات شهيدًا وإن مات على فراشه، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من طلب الشهادة صادقًا، أعطيها ولو لم تصبه، وقيل: إن أرواح هذا الصنف من الشهداء تكون على نهر عند باب الجنة، قال القرطبى: الأحاديث دالة على أن أرواح الشهداء خاصة فى الجنة دون غيرهم، وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء غير شهداء المعركة، على باب الجنة كالمبطون ونحوه.

ثانيًا: مقر أرواح الشهداء:

ذكرنا أن أرواح شهداء المعارك فى حواصل طير خضر، وأما شهداء المحبة فأرواحهم وأجسامهم فى حواصل طير خضر، وأجسادهم فى الملأ الأعلى، من ذلك ما حكاه الإمام اليافعى فى ((كفاية المعتقد)) عن الشيخ العارف بالله سيدى عمر بن الفارض أنه حضر جنازة رجل من الأولياء، قال: فلما صلينا عليه إذا الجو قد امتلأ بطيور خضر، فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار!

وعن زيد بن أسلم أنه قال: كان رجل فى بنى إسرائيل قد اعتزل الناس فى كهف جبلٍ، وكان أهل زمانه إذا قحطوا استغاثوا به، فدعا الله فسقاهم، فمات فأخذوه فى جهازه، فبينما هم كذلك إذ هم بسرير يرفرف فى عنان السماء حتى انتهى إليه، فقام رجل فأخذه فوضعه على السرير فارتفع السرير وهم ينظرون إليه فى الهواء حتى غاب، وكذلك عامر بن فهيرة مولى أبى بكر بن الصديق، وقد قتل يوم بئر معونة فيمن قتل، وذلك أنه ضربه رجلٌ فى طريقه إلى المدينة المنورة فى الطريق، وقد قتل يوم بئر معونة فيمن قتل، وذلك أنه ضربه رجل برمح فقتله، فلما انتزع الرمح، رفعت جثته نحو السماء حتى غابت، فأخبر الضحاك، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، فقال رسول الله: إن الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين، والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه، وقد رفع جماعة من الصحابة، وغيِّبت جثث كثير من الصالحين.

ثالثًا: سبب تسمية الشهيد شهيدًا:

قال بعض العلماء: سمى بذلك لمعان منها:

- أن الله ورسوله شهدا له بالجنة.

- أنه يبعث وله شاهد بقتله وهو دمه، لأنه يبعث وجرحه يتفجر دمًا.
- أن ملائكة الرحمن يهدون له بالجنة، فيقبضون.

وقيل: لأنه حى، فكأن روحه شاهدة أى حاضرة، وقيل: لأنه لا يشهد عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل غير ذلك، وقال بعض الأئمة: سمى شهيدًا؛ لأنه مشهود له بالجنة، وقيل: لأن ملائكة الله تشهده، وقيل: لشهادته على نفسه لله تعالى حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه الله عليها فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١)، فاتصلت شهادة الشهيد بالحق بشهادة العبد، فسماه شهيدًا.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى شهداء أحد: (أنا شهيد على هؤلاء)؛ لبذلهم أنفسهم دونه، وقتلهم بين يديه تصديقًا لما جاء به صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: حياة الشهداء:

قال بعض العلماء: عود الروح إلى الجسد فى القبر ثابت فى الصحيح كسائر الموتى فضلًا عن الشهداء، وإنما النظر فى استمرارها فى البدن وفى أن البدن يصير حيًّا بها كحالته فى الدنيا أو حيًّا بدونها وهى حيث شاء الله، ومما يجوزه العقل أن البدن يصيرا حيًّا بها كحالته فى الدنيا، وقد ذكره جماعة من العلماء، ويشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره، فإن الصلاة تستدعى جسدًا حيًّا، وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسراء. وقال بعضهم: اختلف فى حياة الشهداء، هل للروح فقط أو للجسد معها؟ بمعنى عدم البلاء على قولين:

وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعدما قبضوا، ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال أبو حيان فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ (آل عمران: ١٦٩) إن الناس قد اختلفوا فى هذه الحياة، فقال قوم: معناها بقاء أرواحهم دون أجسادهم، وذهب آخرون إلى أن الشهيد حى الجسد والروح، ولا يقدح فى ذلك عدم شعورنا به، فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء، كما قال فى كتابه العزيز: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ (النمل: ٨٨).

وكما نرى النائم على هيئته وهو يرى فى منامه ما يتنعم به أو يتألم. قال بعض المتأخرين: ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ فنبه بقوله ذلك خطابًا للمؤمنين على أنهم لا يدركون الحياة بالمشاهدة والحس، وبهذا يتميز الشهيد عن غيره ولو كان المراد حياة الروح فقط لم يحصل له

تميز عن غيره لمشاركة سائر الأموات له فى ذلك، ولعلم المؤمنين بأسرهم حياة كل الأرواح، فلم يكن لقوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ معنىً. وقد يكشف الله لبعض أوليائه، فيشاهدون ذلك، وقال بعضهم: هذا للأرواح قطعًا إذ الأبدان فى التراب تنتظر عود أرواحها يوم البعث.

وأخرج ابن ماجه عن أبى أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله وكل ملك الموت يقبض الأرواح إلا شهداء البحر، فإنه يتولى قبض أرواحهم، وقد أورد صدره ابن الجوزى فى الموضوعات، فالقابض للروح حقيقة هو الله، وهو لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١١) وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦١) وقوله جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ (الزمر: ٤٢).

لأن إضافته التوفى إلى ملك الموت لأنه المباشر للقبض، وإلى الملائكة الذين هم أعوانه؛ لأنهم يأخذون فى جذبها من البدن، فهو قابض وهم معالجون، وإلى الله لأنه الفاعل على الحقيقة.

خامسًا: تلاقى الأرواح وتلاقى الأحياء مع الأرواح:

روى البيهقى فى شعب الإيمان عن جندب وأبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقى آدم موسى، فقال موسى: أنت آدم الذى خلقه الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته، ثم فعلت ما فعلت، فأخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك وقربك نجيًّا؟ قال: نعم! قال: فأنا أقدم أم الذِّكْر؟ قال: بل الذكر! قال: فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى.

قال الإمام الغزالى: وقد صح أن آدم عليه السلام لقى موسى، فقال له موسى: أنت الذى خلقك الله بيده، ونفخ من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته، فلم عصيته؟ قال له: يا موسى أنت الذى اتخذك الله كليما وأنزل عليك التوراة؟ فقال موسى: نعم. فقال له: فى كم سنة وجدت الذنب قدر على قبل فعله؟ قال له: كتب عليك قبل أن تفعله بخمسين ألف سنة. قال: يا موسى: أفتلومنى على ذنب قد قدر على قبل أن أفعله بخمسين ألف سنة؟.

وفى الحديث أنه لما مات بشر بن معرور، وجدت عليه أمه وجدًا شديدًا. فقالت: يا رسول الله. إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة، فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. والذى نفسى بيده يا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رءوس الشجر، فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت: يا فلان عليك السلام، فيقول: وعليك، فتقول: اقرأ على بشر بالسلام.

سادسًا: حياة الأنبياء:

قال صلى الله عليه وسلم: مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلى فى قبره، وهذا صريح فى إثبات الحياة لموسى عليه السلام، فإنه وصفه بالصلاة وإنه كان قائمًا، ومثل هذا لا يوصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد، وفى تخصيصه بالقبر دليل على هذا، فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، فإن أحدًا لم يقل إن أرواحهم مسجونة فى القبر مع الأجساد، وأرواح الشهداء والمؤمنين فى الجنة.

وقال النبى صلوات الله وسلامه عليه: الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون. وقال: إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدى الله تعالى حتى ينفخ فى الصور.

وقال إمام الحرمين الجوينى والإمام الرافعى: روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث)). وروى إمام الحرمين أيضًا: أكثر من يومين.

وروى ابن الزاغون الحنبلى حديثًا: أن الله لا يترك نبيًّا فى قبره أكثر من نصف يوم.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبى يموت فيقيم فى قبره إلا أربعين صباحًا.

وعن سعيد بن المسيب: ما مكث نبى فى قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع.

قال الإمام البيهقى: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون بحيث ينزلهم الله تعالى.

وقال الإمام القرطبى فى التذكرة: إن الموت ليس بعدم محض، بل انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحن مستبشرين، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا، وإذا كان هذا فيه الشهداء كان الأنبياء لذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى المساء، وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام بما يفيدنا أن الله عز وجل يرد روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بموت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وكذلك كالحال فى الملائكة، فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد منا إلا من خصه الله تعالى بكرامته من أوليائه، ثم قال: هكذا حكم من تقدمنا من الأمم من قتل شهيدًا فى سبيل الله أو قتل على الحق كالأنبياء.

وقال بعض المتأخرين: من المعلوم أن النبى عليه الصلاة والسلام فى قبره وأنه لا يراه فى اليقظة الرؤية النافعة، وأنه لا يبعد من أكرم برؤيته أن يكرم بإزالة الحجب بينه وبينه فيراه الأولياء ويحادثونه.

قال ابن حجر: ولقد كان شيخى وشيخ والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى عليه الصلاة والسلام يقظة كثيرًا حتى يقع له أنه يسأل فى الشىء، فيقول: حتى أعرضه على النبى صلوات الله وسلامه عليه، ثم يدخل رأسه فى جيبه، ثم يقول: قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لا يتخلف ذلك أبدًا.

قال بعض الأئمة: إنه صلى الله عليه وسلم يطوف فى العوالم الثلاثة ويتصرف فيها بروحه وجسده الشريف الذى انتقل به من هذه الدار.

وقال بعضهم: وأما إخبار النبى عليه الصلاة والسلام عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذى رآه أشباحهم وأرواحهم، قال: فإنهم أحياء عند ربهم.

وقد رأى إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائمًا يصلى فى قبره، وقد نعت الأنبياء بنعت الأشباح، فرأى موسى آدم ضَرْبًا طُوَالًا كأنه من رجال شنوءة[1]، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما خرج من دِيمَاس[2]، ورأى إبراهيم فشبه بنفسه، ونازعهم فى ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هى لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد فى الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه موتة ثانية، وهذا باطل قطعًا، ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور، لم يعدهم الله إليها، بل كانت فى الجنة.

وقد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة وأول من تنشق الأرض عنه على الإطلاق لم تنشق عن أحد قبله، وقد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه رأى موسى قائما يصلى فى قبره ليلة الإسراء، ورآه فى السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر، وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلى فى قبره، ويرد سلام من يسلم عليه، وهى فى الرفيق الأعلى.

وقال السيوطى: صحح كثير أن صلاته بالأنبياء كان بعد العروج، وصحح القاضى عياض أنه قبله، وقيل: إنه يحتمل أنه كان بالأرواح خاصة أو بها مع أجسادها، وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمول على رؤية أرواحهم تشكلت إلا عيسى عليه السلام؛ لأنه رفع بجسده، وكذلك إدريس أيضًا.

* * *

(١) بطنٌ من الأزد القحطانية، وهم بنو نصر بن الأزد. انظر القلقشندى. نهاية الأرب ص٣٠٨.

(٢) أى: من الحَمَّام، والحديث: (ربعةٌ أحمر كأنما خرج من ديماس) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ٤/ ٣٢١.

obeikandl.com

الخاتمــة

حاولنا فى هذه الدراسة الإلمام بما جاء فى الروح والنفس عند العلماء المسلمين على مختلف مشاربهم، واجتهدنا فى سبيل جمع هذه المادة من مظانها الأصلية لكى تكون بقدر الإمكان جامعة شاملة لجوانب هذا الموضوع الذى يكتنف الإقبال على الخوض فيه عدة محاذير ومزالق؛ لأنه يذكرنا بالموت الذى يخشاه الناس ويخافون حدوثه وكأنهم مخلدون.

واعلم يا أخى القارئ – حفظك الله – أن الموت على رقاب العباد، وأن كل نفس ذائقة الموت، فلا تنزعج من ذكره بل استعد وافرح بلقائه، وعلى العاقل منا أن يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل، ولا يغتر بالأمل، فإن من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت. ولا تنسى قول الحكيم: ((تذكر الموت توهب لك الحياة)). وردد معنا قول عمر الخيام فى رباعياته:

لـــــن يرجـــــع المقـــــدار فـــــيما حكـــــم
وحملـــــــك الهـــــــم يزيـــــــد الألم
ولـــــو حزنـــــت العمـــــر لـــــن ينمحـــــى
مـــــا خطـــــه فى اللـــــوح مـــــر القلـــــم

* * *

الـــــدرع لا تمنـــــع ســـــهم الأجـــــل
والمـــــــال لا يدفعـــــــه إن نـــــــزل
وكـــــل مـــــا فى عيـــــشنا زائـــــل
لا شـــــىء يبقـــــى غـــــير طيـــــب العمـــــل

وما قاله الشاعر القديم:

يـــا مـــن بـــدنياه اشتغـــل قـــد غـــره طـــول الأمـــل

أو لم يـــــزل فى غفلـــــة حتـــى دنـــا منـــه الأجـــل

المـــوت يـــأتى بغتـــــة والقـــبر صـــندوق العمـــل

اصـــبر عـــلى أهوالهـــا لا مـــوت إلا بالأجـــــل

فاهنأ أخى القارئ فى دنياك وفى حياتك، ومت مستريحًا إذا حم القضاء فى ختام هذه الحياة، وإذا ما خرجت الروح وصعدت إلى بارئها راضية مرضية.

* * *

هذا ختام هذه الرسالة فى الروح والنفس، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وسببًا للفوز يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *

openkandl.com